الفصل الثاني

الشاعر بين المكتب والمنزل

«مقابلة أجراها الأستاذ وهيب غراب

مجلة الشرق الأوسط - المدد: ٢٠٩/٢٧ يونيه/

١٩٩٠م»

الدكتور/غازي عبدالرحمن القصيبي، وزير الصناعة والكهرباء، ثم وزير الصحة سابقاً، في المملكة العربية السعودية، وسفير السعودية لدى دولة البحرين، وسفير السعودية لدى المملكة المتحدة حالياً[1] هو أحد أبرز شعراء منطقة الخليج، والجزيرة العربية. له سبعة دواوين شعرية، هي: «أشعار من جزائر اللؤلؤ»، (بيروت ١٩٦٠م)، قطرات من ظمأ»، (بيروت ١٩٦٥)، «معركة بلا راية»، (بيروت ١٩٧١م)، «أبيات غزل»، (الرياض ١٩٧٦م)، «أنت الرياض»، «الحّمى»، (جدة ١٩٨٢م)، «العودة إلى الأماكن القديمة»، (البحرين ١٩٨٥م). وقد تضمنت مجموعته الكاملة التي صدرت في مطلع ١٩٨٨م هذه الدواوين السبعة.

وتشمل الأغراض الشعرية التي طرقها الدكتور القصيبي: الغزل، والرثاء، والوطنية، والقومية، والوصف، والوجدانيات، والمناسبات، والبيئة السعودية والبحرينية، وكان في مختلف هذه الأغراض شاعراً مطبوعاً رقيقاً، عميق التأثير والإحساس، خليجي اللهجة، عربي الصوت، إنساني المشاعر.

في هذا الحوار يتناول السفير الشاعر مختلف القضايا الأدبية، كما يتحدث عن جانب من حياته الخاصة.

(١) أي وقت إجراء الحوار، أما الآن فهو وزير العمل في المملكة.

❣ الشعر لديك مساحة - بلا حدود - من العطاء. كيف استطعت أن تحافظ عليها كل هذا الوقت؟

- السؤال يفترض أنك تستطيع التعامل مع الشعر، كما تتعامل مع قطعة تملكها من الأثاث، أو التحف وتسأل الإنسان: كيف استطاع المحافظة عليها؟ وكيف كان لها دور في حياته؟ إلا أنه بالنسبة للشعر لا يمكن أن يطرح السؤال بهذه الصورة. الشاعر لا يختار شعره، ولكن الشعر هو الذي يختار الشاعر، والشاعر لا يقرر أن يكون للشعر مساحة معينة في حياته، ولكن الشعر هو الذي يفسح للشاعر مجالاً - صغيراً أو كبيراً - في مملكته السحرية. أجدني دائماً أكرر القول: إنني لست سوى أداة طيعة في يد الشعر، هو الذي يقرر: متى يزورني، ومتى يهجرني، وليس لي أمام الشعر - وأنا لا أقول هذا الكلام من باب التواضع - إلا الانتظار حتى يقرر أن يزور، أو لا يزور.

× عندما جئت للبحرين سفيراً، كتبت لها أجمل قصائدك. هل هو الحب الذي يولد مع اللقاء؟ أم هو العشق القديم؟

- أنا - دائماً - أكره أفعال التفضيل لأنها تضفي على الوصف صورة من الحسم. لا أعتقد أن القصائد التي كتبتها للبحرين هي أجمل قصائدي، ولكن ربما تكون من أجملها. والسبب هو مدى صدق التجربة التي تحتوي عليها القصيدة.

بالنسبة لعودتي للبحرين كانت تحمل الكثير من العناصر المؤثرة، ذلك لأنني نشأت في البحرين طفلاً، ثم مراهقاً إن اللقاء

بالبحرين، لا يمثل مجرد لقاء ببلد من البلدان، وإنما يمثل لقاء بطفولة وصبا - بكل ما يحملانه من معانٍ وذكريات - ولهذا جاءت هذه القصائد تمثل لقاء الإنسان - كل إنسان - بأيام قديمة، عبرها، أو عبرت به، في أمكنة قديمة.

لم يكن الأمر رجوعاً إلى الأزقة، والشوارع القديمة فحسب، بل كان رجوعاً إلى الطفل الذي كان يوماً ما يلعب في هذه الأزقة، والشوارع. كلما تقدم بنا العمر، يصبح للماضي رونقه وبهاؤه،حتى إن الذين يتقدم بهم العمر، فيصلون إلى أرذله، لا يعودون يعرفون إلا الماضي وبالذات الماضي البعيد. والحنين إلى الماضي، أنتج أروع الأبيات، في تراثنا الشعري القديم.

❣ ما هي أحلى ذكرى عالقة في مساحة الذكريات مع البحرين؟

- الإنسان عندما يتذكر فترة الطفولة الأولى، والصبا، لا يتذكر حوادث بعينها، وإنما يتذكر - إن جاز التعبير - ثقافة، نوعاً من السلوك، أسلوباً من أساليب الحياة. وسوف أقدم أمثلة على ذلك:

العيد: كان للعيد - ليس في البحرين فحسب، بل في كل مكان - بريقه الخاص. كان العيد المناسبة الوحيدة التي يحصل فيها الطفل على حذاء جديد، وثوب جديد. العيد يرتبط - في الطفولة - بسعادة لا نجدها في الأعياد اليوم، ولا يجدها أطفال اليوم في أعيادهم.

وهناك - أيضاً - أسلوب الحياة القديم، عندما كانت العائلة - بأسرها - تنام في غرفة واحدة والإخوان الأربعة، أو الخمسة، يعيشون معاً في هذه الغرفة. الآن نمط الحياة أصبح فيه خصوصية، بحيث يعطى كل طفل غرفة خاصة - إن استطاع الأب إلى ذلك سبيلاً -، فذهبت تلك الروح الجماعية، التي تميز طفولتنا، وطفولة كل شخص من هذا الجيل.

كذلك أسلوب التزاور الاجتماعي - الذي كان معروفاً في تلك الفترة - اضمحل الآن ولا تزال له بقايا في المدن الصغيرة والقرى، بينما في المدن الكبيرة قد لا ترى جارك حتى في العيد ولا تسلم عليه.

كل هذه الصور لأسلوب من الحياة مضى الآن - ولم يعد ثمة سبيل لإرجاعه - هي التي تجعل لذكريات الطفولة زخمها، وطعمها، ونكهتها، أكثر من أي ذكرى فردية، لحادث فردي.

قصيدة الجسر

❣ كتبت رائعتك في افتتاح الجسر. وجودك في البحرين، والعلاقة القديمة، هل ولّدا قصائد جديدة؟.

- أولاً أحب أن أقول: ربما كان «الجسر» هو المنبر، أو المحفل، الذي ألقيت فيه القصيدة، ولكنها ليست قصيدة عن الجسر، أو بمناسبة الجسر، وقد قلت - أكثر من مرة -: إنني لا أؤمن بشعر المناسبات، بأن يكتب الإنسان قصيدة تشيد بمناسبة ما.

قصيدة الجسر تمثل النزعة الطبيعية لدى مناطق الخليج: في الالتحام، وفي التقارب، وإذا كنت عبرت عن هذه الفكرة: برغبة البدو والبحّارة في أن يعيشوا معاً، ورغبة الجزر والواحات في أن تتوحد، فهذا الشعور هو الذي أعطى القصيدة نكهة من الصدق، أكثر من كونها عن الجسر ذاته. جميع القصائد التي أكتبها، لا

أستطيع أن أربطها بمناسبة معينة، ولذلك لا أستطيع أن أقول: لأنني أقيم الآن في البحرين، فسوف أكتب، أو كتبت قصائد نابعة من إقامتي في البحرين. مصدر الشعر - دائماً - حياة الشاعر، وتجارب الشاعر، والأمكنة جزء من هذه التجارب، ولكنها ليست هي الجزء الأساسي. يصعب عليّ القول إنني كتبت قصائد معينة، لمجرد أنني الآن في البحرين. التجارب البشرية تدور طوال الوقت، وفي كل مكان.

❣ ما هي أحلى قصيدة كتبتها أثناء وجودك في البحرين، أو تترجم ذكرياتك في البحرين؟

- بالنسبة للشعر تعودت أن أترك الحكم عليه للآخرين، وكل قصيدة تكون أثيرة لدي لحظة كتابتها، شأن الابن الذي يكون عزيزاً حتى يكبر. لا أعتقد أن هناك قصيدة أدق، أو أكثر تصويراً، ولكن القراء اعتبروا قصيدة «العودة إلى الأماكن القديمة» هي التي تصور مشاعر اللقاء بالبحرين، أكثر من غيرها من القصائد، التي كتبت بعدها، أو قبلها.

❣ هل الإبداع - في اعتقادكم - انعكاس لحالة حب يعيشها الشاعر؟

- الإبداع هو انعكاس لتجربة، وليس من الضروري أن تكون تجربة حب. قد تكون تجربة جوع، أو تجربة خوف، أو تجربة نضال، أو تجربة شك، أو تجربة يقين، وقد تكون تجربة حب.

المعادلة - في الإبداع الفني والأدبي عموماً - تتكون من عنصرين: عنصر التجربة الصادقة، وعنصر الموهبة المصقولة، (وليس المهملة) فإذا اجتمع هذان العنصران، توفر الإبداع الفني، سواء في القصيدة، أو الرواية، أو القطعة الموسيقية، أو اللوحة. كل عناصر العمل الإبداعي، يمكن أن نختزلها في عنصري: التجربة، والموهبة.

❣ أي التجارب أثرت فيك، وأعطتك القدرة على الإبداع؟

- لا أستطيع أنا - ولا أعتقد أن غيري يستطيع - أن يصنف التجارب تصنيفاً من هذا النوع. معظم التجارب معقدة، كتعقيد الحياة نفسها. من هنا أرى خطأ التصنيفات التقليدية للشعر: كالهجاء، والمدح، والوصف؛ لأنها تصنيفات مصطنعة.

المتنبي مثلاً - في جميع قصائده، ومنها التي تصنف على أنها قصائد مدح - يتطرق إلى الحكمة، والغزل والوصف... إلخ.

التجربة التي يعبر عنها أي شاعر حقيقي، يندر أن تكون مجرد تجربة واحدة بسيطة، وحتى لو كانت تجربة حب، فالحب عالم كبير يزخر بالعواطف المتعارضة والمتناقضة. أحياناً يأتي مع الحب شعور بالغيرة، أو شعور بالخوف من فقدان المحبوبة، أو رغبة في تملك الشخص المحبوب أو رغبة في التسامح. وقد يعطيك الحب نافذة إلى آفاق أوسع، أو يضعك في سجن أضيق مما كنت عليه. تجربة الحب يندر أن تُوصّف وتُعَرّف بسهولة.

أكتب الشعر الحديث والتقليدي

❣ يقول أحد النقاد: «إن غازي القصيبي يكتب الشعر الحديث، بأنفاس وقوالب الشعر التقليدي!» فماذا تقول؟

- لقد ولدت في فترة شهدت تغييرات كثيرة، هي بداية الحرب العالمية الثانية، وبدأت أكتب في الخمسينات. وقد شهدت هذه الفترة الكثير من التيارات التجديدية، وبذلك كنت عرضة لهذه التيارات، فبدأت أكتب الشعر بنوعيه: الحديث، والتقليدي. لا أستطيع أن أحكم على نجاحي في أي منهما. عدد كبير من الأصدقاء يرى أن الشعر الذي أكتبه بالطريقة التقليدية أفضل من الشعر الذي أكتبه بالطريقة الحديثة. وفي مقابل ذلك: عدد كبير من النقاد والشعراء، يرون أن من الأفضل لي أن أقتصر على كتابة الشعر الحديث. وأنا - إلى الآن - أكتب النوعين، وبالنسبة نفسها.

القصيدة هي التي تختار الشكل. أحياناً أريد أن أكتب قصيدة من الشعر الحديث، لكني أجد أنه لا يمكن لهذه التجربة أن تظهر إلا على شكل قصيدة تقليدية وأحياناً أود أن أكتب قصيدة على الشكل التقليدي، ولكنها تأتي على النمط الحديث.

❣ ولكن أي نوع تفضل؟

– لا أستطيع التفضيل؛ لأني لا أجد نفسي في نوع دون الآخر. أحياناً أجد أن هناك أشياء معينة، يستحيل التعبير عنها بالشكل التقليدي رغم محاولاتي، وأحياناً أجد أن بعض المشاعر يخلُّ بها التعبير بالشكل التقليدي، وتتطلب الشكل الحديث. لذلك لم أستطع – في يوم من الأيام – فهم هذه الحرب الضروس القائمة بين الفريقين. إذا كان الإنسان يستطيع أن يعبر عن نفسه بوسيلة أفضل، ضمن نمط معين، فلنتركه. في النهاية يجمع الناس على أن الشعر الجيّد، هو وحده الذي سيبقى. هناك – الآن – ركام من الشعر التقليدي السيئ، وركام من الشعر الحديث السيئ، ونماذج مضيئة هنا وهناك، وأعتقد أنه بمرور الأيام، سوف تبقى النماذج المضيئة، أما بقية الأشياء فسوف تزول.

❣ هل تعتقد أن الشاعر يظل عاجزاً عن تحديد مساره في كتابة الشعر؟

– هذا الموضوع يقودنا إلى موضوع الالتزام، ولي فيه رأي لا يعجب كثيراً من الشعراء هو أني أرى أن الشاعر يجب أن يلتزم

بالصدق مع نفسه فحسب، دون أي التزام آخر: سياسي، أو اجتماعي، لأنه إذا التزم بهذه الأشياء، فسوف يتحول من شاعر، إلى كاتب منشورات سياسية، أو حزبية.

إذا كان المقصود بأنه لا يستطيع تحديد مساره، أن يكون ريشة تتقاذفها الظروف، فطبعاً لا ! لأن الشاعر يستطيع أن يحدد مسار حياته، كما يستطيع أي إنسان آخر أن يحاول تحديد هذا المسار، ضمن الظروف والعوامل التي تحيط به. ولكني أعتقد أنه لا يستطيع أن يحدد مساره الشعري، ويقرر أنه سيصبح شاعراً سياسياً، أو شاعر دعوة، أو شاعر غزل؛ لأنه إذا اتخذ قراراً من هذا النوع، فمعنى ذلك أنه أدخل على شاعريته وموهبته الكثير من القيود، التي لابد أن ينعكس أثرها سلباً على شعره.

❣ ما هو دور التجارب والمواقف التي يمر بها الشاعر - كإنسان- في تغيير مساره؟

- هذه الأشياء كلها تنعكس على شعره، ولكنها تنعكس بطريقة عفوية، ولا شعورية. ثقافة الشاعر - مثلاً - لابد أن تنعكس على أشعاره. الشاعر الذي جاب العالم، يختلف شعره عن الشاعر الذي لم يخرج من قريته، والشاعر الذي قرأ في التراث الإسلامي العربي، يختلف شعره عن الشاعر الذي لم يقرأ، ولكن يجب أن يأتي هذا المزيج، بطريقة عفوية، لا يحس بها القارئ، ولا يأتي بطريقة مفتعلة. ومع الأسف الشديد، أحياناً تجد شاعراً قرأ عن الشعراء

الصعاليك – عن عروة بن الورد مثلاً – فملأ القصيدة برموز مفتعلة ومصطنعة، عن عروة بن الورد، لكي يثبت أنه قرأ ! وأحياناً تجيء «الموضات» الأدبية، كأن نجد شاعراً قرأ للوركا، وبدون أي سياق يزج باسم «لوركا» ليثبت أن عنده اطلاعاً على شعر لوركا. هذه المحاولة تكون – دائماً – مفضوحة، وتبدو مصطنعة ومفتعلة.

إن الثقافة الحقيقية يجب أن تختمر في أعماق الشاعر، وعندما تظهر، تظهر لا على شكل استعراض للعضلات الفكرية، ولكن تنساق بعفوية مع التجربة، بحيث تشعر القارئ أن هذا الشاعر وراءه تجربة طويلة وعميقة، ولكن لا تشعره بذلك بطريقة مفتعلة وهذا أحد الفروق بين الشاعر العظيم، وبين الناظم.

؟ كتبت الشعر الحديث، وكتبت النثر، هل تختلف الدوافع والتأثيرات لكلٍ منهما؟ وهل يغني النثر عن الشعر دائماً وليس أحياناً؟

– الشعر الحديث ليس له علاقة بالنثر. الشعر شعر، والنثر نثر – والشعر الحديث لا يفصله عن الشعر التقليدي، إلا حرية أوسع في التصرف بالتفعيلات والقوافي، الفرق بين الشعر التقليدي، والشعر الحديث، هو أقل مما نتصور؛ لأن الشعر الحديث الحر، يجب أن يكون موزوناً – وهذا هو الشرط الأول – ويجب أن يكون فيه شيء من الالتزام بالقافية – وهذا هو الشرط الثاني – ومن هنا لا أجد أي مجال للمقارنة، بينه وبين النثر. أما إذا كنت تقصد ما

يسمى بـ «قصيدة النثر» فأنا لا أستطيع أن أعدها شعراً. قد تكون نثراً جميلاً، لكن يجب أن نسمي الأشياء بمسمياتها. أما السؤال: هل يغني النثر عن الشعر؟ فأعتقد أن في النثر روائع جميلة جداً، وهي نقطة لا أدري لماذا تغيب عن الأذهان. لا ينبغي أن يكون كل الناس شعراء ولا ينبغي أن يكون كل التعبير الأدبي شعراً. كثيراً ما أقرأ قطعة نثر تهزني، وتؤثر فيّ أكثر من قصيدة شعرية. وكثيراً تمر بي جملة عادية تهزني.

وهذا الشعور العام عند العرب، بأن الشعر أرقى من غيره من الفنون يعود إلى أسباب تاريخية. الناس كانوا لا يقرؤون في الماضي، وكان الحفظ أهم شيء لذلك اكتسب الشعر كثيراً من البريق. من حيث المبدأ قد تحركني قطعة موسيقية. أكثر من قصيدة، وقد أقرأ رواية، أو أقصوصة صغيرة، وتترك في نفسي أثراً كبيراً. قد أكون الشاعر الوحيد الذي يرى أن الشعر ليس له أي ميزة على أي نوع من أنواع الفنون الأخرى.

❣ هل يعني هذا أنك لا تقرر متى تلجأ إلى النثر كحالة؟

- النثر وضعه مختلف عن الشعر، لأن الشعر فيه عناصر مختلفة تماماً، في الشعر تحكم الإنسان بالتجربة وفي التوقيت يكاد يكون معدوماً، بينما في النثر تستطيع أن تكون أكثر انضباطاً من الشعر.

❣ لك ديوان شعر بالإنجليزية، هل عبرت فيه وصورت كما تفعل في الشعر العربي؟

- جميع القصائد التي كتبت في هذا الديوان كتبت أساساً باللغة العربية، لأنني لست شاعراً باللغة الإنجليزية، إنما بعد كتابتها ترجمت إلى اللغة الإنجليزية، وطبعي أن الترجمة فيها عقبات كبيرة جداً، وكما قال البعض: «أي ترجمة هي خيانة للأصل»، وقد حاولت أن أختار من القصائد ما يمكن ترجمته بسهولة، وكثيرون تساءلوا عن المعيار في اختيار القصائد، والمعيار - ولأول مرة أذكره - هو أنني اخترت تلك القصائد التي يمكن أن تترجم دون أن تفقد كثيراً من روعتها في الترجمة. وكما يعرف كل قارئ الموسيقا جزء أساسي من الشعر العربي إن لم تكن الجزء الأساسي، والموسيقى كلها تفقد في عملية الترجمة، ورأيي في الترجمة أن هناك أشياء يمكن أن تترجم رغم اختلاف اللغات، وهناك أشياء من العبث أن نحاول ترجمتها.

❣ إلى أي مدى حقق ديوانكم المترجم إلى الإنجليزية النجاح؟

- بالمعايير التي تقوم على اهتمام القراء، أعتقد أنه حقق نجاحاً لا بأس به، إذ طبعت منه طبعتان، ونحن بصدد طبعة ثالثة. واسمح لي أن أستطرد هنا فأقول: إن الصورة التي نشأت لدى العالم عنا، مرتبطة بالجمال والخيام، حتى ما قبل سنوات والآن

أصبحت صورتنا مرتبطة بالنفط فقد اختزل الوجود العربي في وسائل الإعلام الغربية والعالمية، إلى أن يكون العربي راعي جمل في الماضي، أو صاحب برميل نفط في الحاضر وهذه الصورة - طبعاً - تلغي هويتنا، وتلغي حضارتنا، وتلغي تميزنا.

بالإضافة إلى محاولة الترجمة هذه، هناك محاولة أخرى: «قوافي الجزيرة»، ترجمت فيها أبياتاً من الشعر العربي القديم. ومحاولة ثالثة مع شاعرة أسترالية، في كتاب صدر مؤخراً، يحمل حوالي تسعين قصيدة، من جميع البلدان العربية، ترجمت إلى اللغة الإنجليزية.

كل هذه المحاولات تهدف إلى إظهار التنوع الحضاري، الذي ميز الحضارة العربية الإسلامية، قبل أن تكون لنا علاقة بما يجري في «أوبك»، أو ما يدور حول أسعار البترول.

العربي المسلم كان غنياً بدينه، وحضارته، وتراثه قبل أن يكون غنياً - في الوقت الحاضر - بنفطه، وهذه الصورة يجب أن نركز عليها، حتى تستقر في أذهان العالم.

❢ هل نعتبر عدم رغبتك في فتح مناوشات جانبية، في كتابك «في رأيي المتواضع» هروباً من الدفاع عن نفسك في الكتاب؟

- لا. أنا من المؤمنين بأن «النقاش» كثيراً ما يتحول إلى «جدل» والجدل - بطبيعته - يعتمد على براعة لفظية، وبراعة فكرية، ليس

لها علاقة بـ «جوهر» الموضوع بعبارة أخرى: إذا أتيت بإنسان بارع في الجدل، وأعطيته أي قضية – ولو كانت ضعيفة – قد يستطيع – عن طريق براعته الجدلية – أن يحولها إلى قضية ناجحة.

وفي جامعات الغرب، هناك جمعيات الجدل. وكل طالب يدربّ قدراته، فيدافع عن الموضوع، ثم يهاجمه. الجدل ليس له علاقة بالنقاش، وقد وجدت أن أكثر محاولات النقاش، تنتهي بالجدل، والجدل يفوز فيه الأكثر حدة في اللسان والأبرع في استخدام الفكاهة – – إذا كان الجدل علنياً – والأقدر على وضع خصمه في مصيدة لفظية، أو جدلية.

وقد وجدت أن الموضوع الذي يبدأ نقاشاً، ثم يتحول إلى جدل، كثيراً ما ينتهي إلى مهاترات. لا يكاد أي موضوع يبحث، إلا وجدت العوامل الثلاثة: يبدأ بنقاش موضوعي لا بأس به، ثم يتحول إلى جدل، ثم يتحول إلى مهاترة والغريب – في نهاية الأمر – أن موضوع النقاش، وحتى موضوع الجدل ينسى ولا تبقى إلاّ المهاترات الشخصية. وجدت – بالتجربة – أن هذا كله مضيعة للوقت. أبدي رأيي، ويستطيع كل إنسان أن يبدي رأياً معارضاً، فإذا رجعت لأناقض هذا الرأي، ورجع من يعارضني، قضينا السنين في هذا الجدل العقيم وهذا الجدل خطر ينزلق إليه كثير من الناس، عدد من أعظم العمالقة في تاريخنا – سواء القديم، أو الحديث – قضوا جزءاً غالياً من أعمارهم في الجدل، كان أجدر ألا يقضوه في هذا

المجال. خذ مثلاً المعارك التي دارت بين طه حسين، وزكي مبارك، ومصطفى صادق الرافعي، لقد كانت أوقاتاً ضائعة من العمر ليتهم خصصوها لما هو أجدى.

عندما أكتب قصيدة أتركها للناس، منهم من يرضى عنها، ومنهم من لا يرضى، ولكني لا أعود مرة أخرى لأتساءل: لماذا لم يرضوا عنها؟ ولأناقش هذا الناقد على أساس أنه خاطئ وكذلك عندما أطرح رأياً، أتركه للقارئ؛ لأن الأجدى - في رأيي - أن أنتقل إلى رأي جديد، بدلاً من أن أحاور - وأنا في مكاني - مع الرأي القديم.

❣ ولكن إلى أي مدى أنت حريص على متابعة المناوشات الجانبية، رغم رغبتك في عدم الدخول فيها، ولكن لأنك من خلالها قد تكتشف أن هناك ما يفيدك؟

- من حيث المبدأ النظري هذا وارد، ولكن من حيث المنطق العملي يندر أن تجد «معركة» تأتي بشيء: لأن الإنسان يبتدئ بموقف معين، وينتهي بنفس الموقف.

خذ الآن جدلية الشعر الحديث، والحداثة، والحداثيين، فعبر الثلاثين أو الأربعين سنة الماضية، هل هناك غير الكلام المكرر القديم حيث يعبر كل طرف عما لديه، ويتطور الأمر إلى جدل، وينتهي إلى مهاترة؟

في الوقت الحاضر أكثر ما يدور من نقاش حول هذه المواضيع: الحداثة، والأصالة، والشعر الحديث، يصعب أن نسميه بأي اسم آخر سوى «المهاترات».

الفقر في الإنتاج

❣ **هل هذه هي السلبية الوحيدة التي نعاني منها اليوم: في مجال الشعر، والنثر، والأدب؟**

- أعتقد أن السلبية الأساسية الآن هي: الفقر في الإنتاج. النقاد لا ينقدون وإنما يكتبون كتباً عن طبيعة النقد. والشعراء لا يكتبون شعراً، وإنما يخوضون معارك، أو يؤلفون كتباً نثرية عن الشعر. أعتقد أن هذا الفقر الفكري، هو الذي يدعو الإنسان إلى أن يدخل في مناوشات. لو وُجد عندنا شعراء ينقطعون لكتابة الشعر، دون الدفاع عن مدرسة معينة في الشعر، ولو وُجد عندما نقاد يكرسون طاقاتهم الفكرية للنقد، بدلاً من النقاش في ماهية النقد لتحسن الوضع. مثلاً النقاش الذي يدور الآن حول البنيوية. أنا شخصياً لا أعرف ما هي البنيوية وأعتقد أن ٩٩٪ من الناس لا يعرفون ما هي

البنيوية، ولا يهمهم أن يعرفوا، وأفضّل من كل واحد يؤمن بالبنيوية، أن يؤلف لنا كتاباً مبنياً عليها، كما فعل الدكتور عبدالله الغذامي، عندما أنتج لنا كتاب «الخطيئة والتفكير». ومهما كان رأينا فيه، فالكتاب فيه مجهود جيد عن شاعر سعودي رائد، بدلاً من أن ندخل في جدل ومهاترة عن المدارس.

لو طبق كل إنسان ما يؤمن به من آراء في عمله - بسكوت وبصمت - وترك الحكم على العمل للآخرين، لخدم بذلك الفكرة التي يؤمن بها، أكثر مما لو كتب كتابا كاملاً في شرحها. المشكلة الآن أن الإنتاج بدلاً من أن يكون أدباً، أصبح كلاماً عن الأدب، الآن نتحدث عن الشعر، بدلاً من أن ننتج شعراً، نتجادل عن النقد، بدلاً من أن ننتج نقداً، وأتصور أن هذه هي السلبية الأساسية، في الحياة الأدبية عموماً في العالم العربي.

❣ شعر الشباب إلى أي مدى أنت حريص على متابعته؟

- لا أعرف شعر الشباب، ولا شعر الشيوخ، أنا أعرف الشعر فقط. وقضية شعر الشباب، وشعر الشيوخ، قضية مصطنعة فالشابي توفي وهو في السادسة والعشرين، وترك ديواناً ضخماً. و«كيتس» توفي قبل أن يبلغ الثلاثين، وطرفه بن العبد توفي قبل الخامسة والعشرين.

إن النبوغ لا يصنف بعمر معين، ولم أفكر في حياتي، قبل أن أقرأ القصيدة، هل صاحبها شاب يستحق التشجيع، فأحرص على

متابعة إنتاجه. الشباب يوماً ما سيصبحون شيوخاً، والشيوخ كانوا في يوم من الأيام شباباً، وفي نهاية المطاف لا يبقى لنا إلا الشعر.

عندما أقرأ قصيدة لا يهمني: هل كتبها الشاعر وعمره ثمانون سنة، أم ثماني سنوات. هذا قد يهم المؤرخ، وعالم النفس، ولكن - كقارئ - لا يهمني.

كثير من الأعمال الأدبية الخالدة، كتبت في سن مبكرة جداً، وكثير من الشيوخ نضبوا مع مرور الزمن. لا يوجد في قاموسي شعر شباب، منفصل عن الشعر عموماً. والكلام نفسه ينطبق على الشعر النسائي لا يوجد عندي شعر نسائي، أو شعر رجالي. عندما أمر بشعر جيد، فهذا يكفيني، دون أن أسأل إن كانت قد كتبته امرأة، أو كتبه رجل. هذا يأتي في الدرجة العاشرة من الأهمية.

❣ ولكن ألا تعتقد أن فارق العمر، أو فارق السن، يتيح للشاعر، أو الشاعرة، المرور بتجربة تخلق لديه قدرة على الإبداع بشكل أكبر؟

- هذا من دعاية الشيوخ والكهول، ولا ينطبق - في رأيي - على الواقع. والتجربة يجب أن تقاس بعمقها وحدتها، بقدر ما تقاس بطولها، وبحجمها الزمني. أنا لا أرى شيئاً يحول دون أن يكتب شاعر في الخامسة عشرة، أو السادسة عشرة من عمره، قصيدة رائعة جداً، وتحمل الكثير من العواطف البشرية، مع أننا قد نفتقد فيها بعض العناصر، باعتباره لم يتسنّ له أن يحصل على الثقافة

الكافية بعد. معيار العمر بالنسبة للشاعر - والفن عموماً - ليس بالمعيار الصحيح.

هناك سيمفونيات كتبت قبل أن يبلغ أصحابها سن المراهقة.

❣ هل تعتقد أن المرأة تمتلك القدة على الإبداع في الشعر، إلى حد كبير، أكبر من الرجل؟

- هناك فروق فسيولوجية بين الرجل والمرأة، ولكن لا أعتقد أن هذه الفروق لها أي دخل - من قريب، أو من بعيد - بالشعر والإبداع الفني. أعتقد - من حيث المبدأ - أن المرأة قادرة على الإبداع الفني بشتى صوره، كمقدرة الرجل، ويبقى الفرق، وهو أن الظروف والفرص المتاحة للرجل - سواء كانت فرص التعليم، أو فرص النشر، أو فرص الظهور، أو فرص الشهرة - أوسع بكثير من الفرص المتاحة للمرأة. هذا - في رأيي - يفسر الانخفاض النسبي، في الإنتاج الأدبي الأنثوي، وليست الفروق الفسيولوجية الفطرية بين الرجل والمرأة.

❣ هل هذا يعني أنك حريص على متابعة ما تكتبه الشاعرات؟

- أنا لست حريصاً على متابعة أي شيء: لا شعر الشباب، ولا شعر الشيوخ، ولا شعر الكهول أنا أقرأ ما تحت يدي، وما تقذف به الظروف إلي فأنا لست ناقداً محترفاً: لا أرصد الحركة الأدبية، ولا أرصد التوجهات، ولا أرصد المسار. أنا قارئ عادي، عندما تمر بي

قصيدة تستوقفني، أطرب لها، وأعيد قراءتها، ولا يهمني - على الإطلاق - من كتبها: شيخ، أم شاب، أم امرأة، أم فتاة صغيرة، هذا كله لا يعنيني. ونحن عندما نقرأ في التراث شعراً رائعاً، لا يهمنا إلا هذا الشعر. هل يهمنا أن المتنبي كتب قصيدة معينة وعمره كذا؟ وأن أبا تمام كان ما نعتبره وزير البرق والبريد في تلك الأيام؟ وأن ابن المعتز كان ولي عهد المسلمين في دولة ما؟!

في مقياس الأدب هذه الأشياء لا تبقى، بل تتطاير، ولذلك لا أفهم هذه الأسئلة: هل أثرت الوزارة في شعرك؟ هل أثرت السفارة في شعرك؟ هل أثر هذا أو ذلك في شعرك؟ أنا أعتقد أن هذه كلها يوماً ما ستزول، ولا يبقى إلا الشعر، والسؤال الحقيقي واحد: هل أمامنا شعر يستحق أن يبقى أم لا؟

كل الصفات الأخرى: هذا شعر وزير، وهذا شعر سفير، وهذا شعر امرأة، وهذا شعر شيخ، وهذا شعر شاب، وهذا شعر حداثي - كلها صفات من قبيل الزبد الذي يذهب جفاءً إن لم يذهب اليوم، فغداً، أو بعد غد.

❣ هل تحرص على قراءة كل ما يردك كإهداء؟

- هذا مطلب عسير لأنه تصلني أشياء كثيرة كإهداء ولكني أجد أن من حق كل ما يصلني من الشعر والنثر، أن أقرأ الصفحات الأولى منه، وهذه الصفحات الأولى تحدد المصير، وفي الأغلب أقف عندها ولا أكمل. وفي الحالات التي أرى فيها شعراً جيداً، أو نثراً

جيداً، أواصل قراءة الكتاب. أنا أقرأ للمتعة، ولا أقرأ لأسباب تتعلق بالحرفة؛ فأنا لست أستاذاً للنقد، أو الأدب، أو محرراً لصحيفة أدبية، ولا أجد ما يجبرني على قراءة شيء ما. أنا أقرأ لأجد المتعة الفكرية، وإذا لم أجد المتعة الفكرية التي أنشدها مع الصفحات الأولى من الكتاب - سواء كان كتاب شعر، أو نقد، أو أقاصيص، أو رواية - تركته. وحتى إذا نظرت إلى فيلم سينمائي، أو برنامج تلفزيوني، إذا لم يستطع اجتذابي بعد الدقائق الأولى، أتركه.

الاستمتاع بالفن، لا يمكن أن يكون وسيلة تعذيب، ولا يمكن أن يشقي الإنسان نفسه في سبيل أن يقول: إني قرأت. ولهذا فأنا لا أستطيع أن أفهم الذين يقولون: إن الذي يريد أن يتذوق شعرنا، عليه أن يتصارع مع القصيدة، ويقضي ساعات، ويبذل مجهوداً فكرياً لكي يفهم معاني القصيدة، أعتقد أن هذا منطق غريب جداً لأن الناس - عموماً - لا يقرؤون الأدب إلا للمتعة الفكرية، فإذا انعدم التفاعل، انعدمت المتعة الفكرية، ومن السخف أن يعذب الإنسان نفسه بقراءة شعر سخيف، أو رواية ركيكة.

❣ هل وجدت نفسك مرة أمام الرغبة في الرد، بعد التفاعل مع قصيدة قرأتها؟

- عفو الخاطر، لا أستطيع أن أفكر في أمثلة عن قصيدة بمجرد قراءتها انفعلت، إلى درجة أنني كتبت قصيدة على الفور. من حيث المبدأ لا يوجد ما يمنع أن يحدث هذا مستقبلاً.

❣ إلى أي مدى تتحمل آراء الأدباء، أو قارئي شعرك؟

- هذا الموضوع تغير بمضي السنين. عندما كنت في حوالي العشرين، ونشرت ديواني الأول، كنت حريصاً على أن يُقرأ شعري، وكنت أجمع ما يكتب عنه، وأنزعج من النقد. غير أني أجد أنه - بمرور السنين - قد تكونت لدي حصانة شبيهة بالحصانة الدبلوماسية، هي حصانة نقدية، فلا أكاد أجد فرقاً بين ما يكتب في مدح شعري، وبين ما يكتب في نقده. بل على العكس، إذا وجدت القطعة مملوءة بالتقريظ المفرط، لا أستطيع أن أكملها، ولهذا لا أرد على أحد، ولا أذكر أنني - في حياتي كلها - رددت على إنسان انتقد شعري، إلا مرة واحدة، كانت مع الشيخ أبي عبدالرحمن الظاهري، وقد كانت مجرد مداعبة لغوية.

❣ ما هي القصيدة التي كتبتها، وتتغنى بها دوماً؟

- هذه دائماً تكون موضع تغيير، وأعتقد بالنسبة لي ولأكثر الفنانين والأدباء والشعراء والرسامين - أن آخر إنتاج - عادة يحتل مكاناً خاصاً، إلى أن يأتي إنتاج آخر، ويحل محله.

❣ أي تجربة مررت بها، وأثرت فيك بشكل قوي؟

- تجربة الحياة - بكل غناها، بكل زخمها - هي التجربة الأساسية في إنتاجي، ولكن إذا كان لابد من أن أشير إلى تجارب محددة، فأنا أشير إلى تجربتين: إحداهما على المستوى القومي، والأخرى على المستوى الشخصي.

الأولى كانت هزيمة حزيران، وقد كانت بمثابة زلزال نفسي، هز كثيراً من المرتكزات التي كنا - كعرب - نؤمن بها، ووضعتنا - لأول مرة بشكل صارخ أمام ضعفنا، وأمام انقسامنا، وأمام تخلفنا. هذه التجربة تركت آثاراً لا تنسى في نفسي، وفي تفكيري، وحتى في شعري.

أما التجربة الشخصية، فكانت وفاة شقيقي «نبيل» - رحمه الله - وكان في الرابعة والثلاثين، وكنت في الثامنة والعشرين، أو نحوها.

الموت عندما يأتي إلى شخص كبير السن، أو مريض، يكون له وقع أخف، باعتباره لا يأتي مع عنف الصدمة والمفاجأة. ولقد كانت وفاة شقيقي في ظروف غير متوقعة، تركت - بدورها - زلزالاً نفسياً، وخلفت في شعري، وفي نفسي، بصمات ما زالت باقية حتى اليوم.

❣ من الصعوبة أن يبكي الرجل، وكشاعر: هل شعرت في يوم من الأيام أنك بحاجة إلى البكاء؟

- لماذا توجد لدينا هذه الصورة غير الإنسانية للرجل؟ ولماذا نقول كلمات تجري مجرى الأمثال، وتؤخذ كأنها حقائق مسلم بها، من ضمنها أنه من العيب أن يبكي الرجل؟ أنا لا أعتقد هذا، بل على العكس، أعتقد أن الرجل لا يعيبه أن يبكي، بشرط ألا يكون

كطفل رضيع، يبكي كل خمس دقائق، ويتسبب في أزمة «كلينكس» في مكتبه.

لا أرى ما يخل بشموخ الرجولة، وعنفوانها، وكبريائها، في بكاء الرجل، وخير البشر، وسيدهم جميعاً، قد بكى، ودمعت عيناه، عندما تُوفي ابنه إبراهيم، وقال: «العين تدمع، والقلب يحزن...». كل هذا لا يعني أنني أبكي يومياً ولكني لا أعتبر البكاء من الأشياء المخلة برجولتي.

في الشهر الأخير مرت عليّ مناسبتان للبكاء: إحداهما حزينة - وهي وفاة صديق عزيز - والثانية سعيدة - وهي عقد قران ابنتي - وفي الحالتين لم أجد أي حرج في أن أترك المجال للدموع.

❣ إلى أي مدى تفاعلت بزواج كريمتك؟

- إلى المدى الذي رأيتموه في القصيدة: «طفلة الأمس هذي؟».

❣ أي القضايا تؤلمك؟

- قضية الجوع في العالم. يؤلمني أنه - في اللحظة التي نتحدث فيها - هناك عشرات الأطفال، يموتون كل دقيقة، بسبب نقص الغذاء والجوع وأعتقد أن هذه هي قضية القضايا. ونحن - بفضل الله وحمده - لا نعاني منها، ولكن آلاف الملايين يعانون منها.

الإنسان الجائع هو وصمة في جبين الإنسانية كلها، وهذه القضية هي القضية الرئيسة، التي يجب أن تتعامل معها البشرية، في القرن الحادي والعشرين الميلادي.

أريد للبشرية أن تبلغ مستوى الكرامة، التي قدرها الله لعباده، عندما قال في محكم كتابه: ﴿ولقد كرمنا بني آدم﴾. قضية الجوع يجب أن تحسمها البشرية، وكل القضايا الأخرى ستكون فرعية.

إذا انتهت قضية الجوع، انتهت قضية الأمية، والانفجار السكاني، وتعثُّر عملية التنمية. ولو تتبعت كل هذه القضايا إلى جذورها، لوجدت لها جذراً واحداً، هو الفقر المدقع، الذي عبرت عنه بالجوع، ومن هنا يجب أن يكون الشغل الشاغل، في هذا القرن، والذي يليه.

❣ تجربتك في رعاية المعوقين، ماذا تركت لديك؟

- تركت عندي تسامحاً لم يكن موجوداً من قبل؛ لأنها كانت تجربة غنية جداً. نحن البشر العاديين - بطبيعتنا - ننفر من كل ما هو غير معتاد. الشخص المصاب باختلال عقلي يفر الناس منه، والأطفال المصابون بتخلف عقلي، كثيراً ما ينظر إليهم نظرة خوف وانزعاج، وكان في الماضي يقفل عليهم.

التجربة هذه كانت رائدة جداً لأنها أظهرت المشكلة للعيان، وأصبح وجود طفل معوق في الأسرة أمراً لا يدعو للفضيحة ولا يدعو إلى الخجل ولا يدعو إلى العار وكان هذا أكثر ما في التجربة من إيجابيات، سواء بالنسبة لي شخصياً، أو بالنسبة للمجتمع ككل.

❣ ما الفرق بين الوزير والسفير الدبلوماسي؟

– الموضوع يتعلق بحجم القرارات المتخذة. الوزير عادة ما يكون في قمة هرم تنظيمي كبير. أي وزير لابد أن يكون مسؤولاً عن آلاف الأشخاص، والقرارات التي يتخذها يجب أن تكون من حجم معين، ومن طبيعة معينة، ونجاحه يعتمد – أساساً – على القدرة على اتخاذ القرار. والفرق بين الوزير الناجح، وغير الناجح، هو في هذه القدرة على اتخاذ القرار.

بينما العمل الدبلوماسي ليس فيه هذا الجانب الإداري. العمل الدبلوماسي يعتمد على قدرة ذاتية عند الإنسان، في التعامل مع الدولة المضيفة، وفي شرح سياسة حكومته، ورعاية مصالح المواطنين. وبعبارة أخرى، نحن نتحدث عن نوعين من العمل: النوع الأول: يتطلب القدرة على اتخاذ القرارات – والقرارات الكبيرة بوجهٍ خاص –. والنوع الثاني: يتطلب المقدرة الذاتية على الشرح والإقناع. وقد تجتمع الصفتان في الشخص نفسه، وقد لا تجتمعان، وليس من الضروري أن يكون الوزير الناجح سفيراً ناجحاً، ولا السفير الناجح وزيراً ناجحاً.

❣ تجربتك مع الدبلوماسية، ماذا أعطتك؟ وماذا أعطيتها؟

– سواء كنا نتكلم عن الدبلوماسية، أو عن الوزارة، أو عن الصداقة، أو عن الحب، أو عن الحياة عموماً – أنت لا تأخذ، إلا

بقدر ما تعطي. وهناك قانون - في رأيي - لا يخيب أبداً: «أنك بقدر ما تعطي، تأخذ».

إذا نظرت إلى أي عمل على أنه تجربة غنية، وخصصت له كل ما تملك من طاقات، فسوف تجد أن هذا العمل يحقق لك كثيراً من الرضا النفسي والسعادة. وإذا نظرت إلى أي عمل - مهما كان هذا العمل - على أنه روتين، وأنه مفروض عليك، وعذاب لابد من قضائه، فسوف يصبح هذا العمل مملاً كائناً ما كان. وأنا أعتقد أن هذا القانون يسري على كل شيء في الحياة. الأعمال لا تختلف، ولكن البشر يختلفون. تجد العمل نفسه يؤديه إنسان بنفس سمحة، وبوجه طلق، وبأسارير متهللة، ويحصل من هذا العمل على كثير من الرضا، بينما غيره لا يحصل على شيء لأنه يأتيه بعقلية مختلفة، يأتيه بعقلية الأخذ.

إذا نظرت إلى الحياة على أنها عملية أخذ، فسوف تظل طول عمرك محروماً، ومهما أخذت، فلن تشبع من الأخذ. أما إذا نظرت إلى الحياة على أنها عطاء، فالعطاء - في حد ذاته - هو الذي يحقق لك السعادة. ومن هذا المنطلق، لا أعتقد أنه يهم جداً طبيعة العمل، أو طبيعة الصداقة، أو طبيعة الحب، إنما يهم طبيعتك أنت. إذا كنت ترى التجربة تجربة للعطاء، فستكون تجربة سعيدة، وإذا كنت تنظر إليها على أنها للأخذ، فإنها ستكون تجربة شقية.

❣ متى تغضب؟ وإذا غضبت ماذا تفعل؟

– هذا الموضوع – أيضاً – أعتقد أنه بدأ يتغير بمرور السنين. والآن أصبحت الحالات التي أشعر فيها بالغضب الشديد حالات نادرة لا تكاد تذكر. والأشياء التي تسبب لي الغضب، معروفة ومتوقعة عند كل من يعرفني. فمثلاً أغضب عندما يعدني إنسان بشيء، وأعتمد على هذا الوعد، وأبني عليه التزامات عدة، وارتباطات، ثم لا يتحقق الوعد، هذا الشيء يغضبني بعكس الخطأ العابر.

في تعاملي مع أولادي هناك أشياء لا تغضبني. مثلاً إذا الطفل كسر أثمن وعاء في البيت، لا يغضبني هذا الشيء إطلاقاً لكن إذا ضرب أخاه من الخلف مثلاً، فيمكن لهذا العمل الصغير أن يغضبني أضعاف ما يغضبني أي عمل من أعمال الشقاوة التقليدية. من حسن الحظ أن حالات الغضب قليلة، والغضب لا يستمر طويلاً، بضع دقائق ثم يتبخر.

❣ هل تعتبر نفسك رجلاً متسامحاً؟

– مرة سألوا الناس في إنجلترا: هل أنت خفيف الدم؟ فأجاب ٩٩٪ منهم بـ «نعم!»، ودائماً يسألون ممثلات السينما: ما هي عيوبك؟ فتقول الواحدة منهن: أهم عيوبي الصراحة وأهم عيوبي الكرم والسخاء وأهم عيوبي الطيبة، وحب التسامح، وحب الناس. وهذا السؤال من هذا القبيل فإذا قلت لك: نعم، أنا متسامح،

فقد ضممت نفسي إلى هذه القافلة من كبار الشخصيات الأنثوية والمذكرة. يجب أن يجيب عن هذا السؤال الآخرون الذين يتعاملون معي، فهم أقدر على ذلك مني.

كم ساعة تعمل في اليوم؟

- في الوقت الحاضر أعمل بما يتراوح ما بين ٦ و٨ ساعات يومياً. غير أني أرى أن كل عمل لا يمكن أن يقاس بمقياس الزمن. مثلاً لو قضيت ثلاث ساعات في حفل استقبال، فهذه الساعات تكاد تكون مجهوداً ضائعاً، وعشرون دقيقة في كتابة تقرير أجدى منها. العمل لا يمكن أن يقاس بالساعات، ولكن بالنتيجة.

أشعب رحمه الله

❣ ما هي الأشياء التي تجعلك تشعر بالملل في العمل الدبلوماسي؟

- كل عمل لا يخلو من جوانب مملة بالتأكيد، وكل عمل - مهما كان عالياً ومرتفعاً وظيفياً - لا بد أن تكون له جوانبه الروتينية. والجوانب الروتينية الآن، تكاد تكون نفس الشيء في كل عمل. وأعتقد أن كل إنسان يمل من الولائم والمآدب، ولا أعرف إنساناً يرحب بكل دعوات الغداء والعشاء التي تصله، إلا إذا كان أشعب - رحمه الله -. وفي العمل الدبلوماسي ربما كانت كثرة الدعوات والولائم وحفلات الاستقبال تستنزف طاقة كنت أفضل لو كرستها لشيء آخر.

❣ متى تشعر أن على الإنسان أن يرتاح من العمل؟

- أنا من المؤمنين أن الإنسان - مهما كان عمله مهماً - يجب أن يجد قسطه من الراحة. يجب عدم السماح للعمل بأن يسلبه حياته بأكملها. وأنا في وقت راحتي لا أحب أن أدخل في عمل إطلاقاً، وعندما أذهب في إجازتي السنوية، لا أتصل - إطلاقاً - بمركز عملي، ولا أريد أن يعرض علي قرار واحد، أو ورقة واحدة. أيضاً عندما أكون في بيتي، أترك العمل وراء بوابة المنزل. عندما أكون في عالمي الخاص في منزلي، لا أحب أن يقتحم عليّ المنزل العمل أو أي أشياء أخرى مرتبطة به. لكي تكون منتجاً في عملك، يجب أن تكون قادراً على أن تعطي نفسك حقها من الراحة الجسدية.

❣ ما هو دور المرأة في حياتك؟

- دور المرأة في حياة كل إنسان، دور أساسي، فإذا سلمنا أن البيت هو مملكة المرأة، وأن الرجل يقضي معظم حياته في البيت، فمعنى ذلك أن بوسع المرأة أن تحول البيت إما إلى جنة مصغرة، وإما إلى جحيم مستمر.

أكثر الرجال الذين يهاجرون من بيوتهم إلى المقاهي، أو بيوت زملائهم، أو لعب الورق، أو لعب الطاولة، أو السفر يدفعهم إلى ذلك أنهم لا يجدون راحة نفسية في منازلهم. وبالعكس الأشخاص الذين يقضون أوقاتاً طويلة في منازلهم. وأنا أعتبر نفسي سعيداً لأنني أستطيع أن أقضي وقتي بأكمله في المنزل، دون أن أشعر بأي رغبة، أو دافع للخروج.

❣ ما هو الأسلوب الذي اتبعته في تربية الأولاد؟ وإلى أي مدى يوجد تقاسم في السلطة، بينك وبين زوجتك؟

- تربية الأولاد يجب أن تكون مسؤولية مشتركة، ويحدث خطأ كبير جداً في تربية الأولاد - هذه الأيام - عندما يتخلى الأب عن دوره في المسؤولية، ويعتقد أن واجباته المادية تغني، فيتصور أنه إذا أحضر مربية، وأدخل ابنه في مدارس خاصة، قد قام بواجبه هذا خطأ جسيم جداً نحن نعرف من دراسات علم النفس، أن الطفل يولد وهو صفحة بيضاء، فيمتص التجارب من الذين حوله. لابد أن تكون هناك صفات يكتسبها من الأب، وصفات يكتسبها من الأم، سواء كان الطفل ذكراً أم أنثى. يحدث خلل كبير جداً في نفسية الطفل، وفي سلوكه، إذا طغى جانب على جانب. يجب أن يكون دور الأم هو الدور الأقرب والمباشر، ويجب أن يكون للأب دور مختلف. مثلاً نحن بدأنا تقسيماً واضحاً في تربية الأولاد من أول يوم، فالشؤون اليومية اللصيقة بحياة الطفل، من اختصاص الأم، ومع ذلك لا أعتقد أنني عشت يوماً واحداً بعيداً عن حياة الأولاد: عن دراستهم، عن معايشتهم.

تأتيك فترة يجب أن تبذل فيها جهداً أكبر، لكي تعلم الابن الأنماط المرتبطة بالرجولة، يجب أن تدربه على الرجولة، فالرجولة فن، شأنها شأن أي فن آخر. لا أستطيع أن أترك الطفل مع مربية، أو حتى مع أم، وأتوقع من هذا الطفل أن يتحول إلى رجل. إن أطفال

البادية يتحولون إلى رجال في سن مبكرة لأنهم دُرّبوا.

عندنا - في البيت - تقسيم واضح للعمل، فالأشياء اليومية هي من اختصاص الأم، والأشياء المتعلقة بالجزاء والحساب، هذه من اختصاصي للأسف الشديد وكلما كبر الأطفال، انعدم عنصر العقاب.

هذه المشاركة في تربية الأولاد، هي التي يأمل الإنسان من الله - سبحانه وتعالى - أن تنتج في المستقبل أولاداً بشخصيات متزنة، بشخصيات متناسبة، لا يوجد فيها انفصام، ولا يوجد فيها عدم توازن، نتيجة طغيان عناصر معينة على عناصر أخرى.

❣ هل تعتقد أنه لابد من الحزم الشديد في تربية الأولاد؟

- الحزم أمر مختلف عن الشدة. الشدة أمر ليس له لزوم إطلاقاً لأن الشدة تعني أنك تستطيع أن تقوم بعمل، بأكثر من أسلوب، ثم اخترت أسلوب الشدة وهو أمر مرفوض. الرسول ﷺ يقول: «ما كان الرفق في شيء إلا زانه، ولا نُزع من شيء إلا شانه». أنا لا أؤمن بالشدة، ولكن الحزم أمر ضروري جداً لأن الطفل - خصوصاً في المراحل الأولى - يتوقع من أبيه أن يتخذ مواقف واضحة، فإذا جاءك الطفل وقال: أبي هل أذهب للعب، وقلت له: «أفكر، تعال بعد عشر دقائق، أو ربع ساعة»، فهذا يتنافى مع الحزم، ويحدث خللاً في تفكير الطفل. إذا عاملت الطفل على نحو غير واضح، تعاقبه اليوم على خطأ، ثم لا تعاقبه غداً على الشيء نفسه، وتسمح له به

هذا عدم وضوح في الرؤية، سوف يكون له أثر سيء على الطفل. الطفل يستقي معلوماته من الأب والأم، فإذا كانت الإشارات التي تصل إليه غير واضحة ومتضاربة، فسوف يصاب بنوع من الحيرة، ولا يعرف التصرف السليم. الحزم أمر ضروري جداً في التعامل مع الأطفال، أما الشدة فهي أمر ليس له من داعٍ، إلا في أحوال نادرة، تقدر بقدرها.

❢ هل تميل إلى اصطحاب أولادك، وقضاء عطلة نهاية الأسبوع معهم خارج البيت؟

- أنا أقضي كل عطلي - سواء السنوية، أو نهاية الأسبوع - معهم، أما موضوع خارج البيت، أو داخل البيت، فهذا موضوع يعتمد على الظروف، ولا تنس أن موضوع الأطفال موضوع له طرفان، ولا يكفي أن ترغب أنت في الجلوس معهم، يجب أن تكون لديهم هم الرغبة في أن يقضوا الوقت معك. والأطفال - في سن معينة - قد تكون لهم أشياء كثيرة، أهم - في نظرهم - وأمتع وأكثر إثارة من قضاء وقت مع أبيهم. يجب أن نحترم - أيضاً - هذه الرغبة، وهي - بدورها - ضرورية لتمام نضجهم.

❢ كيف تقضي إجازتك في الخارج؟

- أنا أعتبر الإجازات مناسبات عائلية. وأنا لست من هواة الاكتشاف. وغالباً ما أقضي إجازتي في نفس المكان، وأعود إليه بعد سنة، وهو قرية صغيرة على ضفاف نهر في ألمانيا، محل هادئ،

ويتيح الفرصة للكثير من الكتابة والقراءة والتأمل. لست ممن يرون أن الإجازات يجب أن تقضى في رؤية أكثر عدد ممكن من البلدان، في أقل عدد من الأيام.

❢ عندما تكتب هل تعزل نفسك؟

- إذا كان القصد بعزل النفس، إعلان حالة الطوارئ في المنزل، فهذا لا يحدث، أما إذا كان المقصود بعزل النفس أن أنتحي جانباً، فهذا الذي يحدث.

أنا أكتب - عادة - القصائد أو الأشعار في المساء، أكتبها في مكتبي، وفي غياب أي شخص آخر، ولكن لا يعني هذا ألا أكتب قصيدة - أحياناً - مع وجود أشخاص آخرين.

❢ هل أنت حريص على متابعة التلفزيون؟

- فيما عدا الأخبار التي لابد أن يتابعها الإنسان - ليس بحكم عمله فحسب، وإنما بحكم التطورات الهائلة والسريعة التي تعم العالم هذه الأيام - لا يوجد لدي حرص على متابعة برنامج بذاته، في أي تلفزيون.

❢ هل تميل إلى متابعة السينما؟

- هناك أنواع معينة من الأفلام أتابعها عن طريق الفيديو، وأكثرها تكاد تكون من الأفلام التاريخية والوثائقية، وأفلام الخيال العلمي، فهي النوع المفضل لدي من الأفلام.

❣ هل تمارس الرياضة؟

- لو كنت أمارس الرياضة - كما ينبغي - هل كنت أصلُ إلى هذا الوزن؟

❣ عندما تتولد لديك الرغبة في كتابة قصيدة وأنت في مكان لست متهيئاً فيه لذلك، ماذا تفعل؟

- هناك قصائد من هذا النوع كتبتها، عددها محدود، هناك قصيدة في ديوان «الحمى» عنوانها: «فيم العناء؟»، كتبت بأكملها في الطائرة كذلك قصيدة «بيروت» أيضاً في ديوان «الحمى»، كُتبت بأكملها في السيارة وكنا في رحلة طويلة، ومعي خمسة أشخاص في السيارة، وكتبت القصيدة كاملة، وكنت - طبعاً - شارد الذهن قليلاً، وهذه استثناءات نادرة، والقاعدة: أن أكتب بمفردي، وفي مكتبي.

❣ أجمل هدية قدمت لك وتحتفظ بها، ما هي؟

- أجمل هدية هي مشاعر الآخرين. كشاعر أحسن هدية أتلقاها ليس عندما يقول لي إنسان: إن هذه القصيدة رائعة، أو ممتازة، أو معلقة، أو ... إنما عندما يقول لي إنسان: قرأت هذه القصيدة، وودت لو أنني كتبتها، وقد عبرت عما في نفسي بدقة. كشاعر أعتبر هذا أعظم جائزة، أو هدية أحصل عليها، خصوصاً عندما تأتي من إنسان عادي، أو إنسان يكتب لي من بلد بعيد، ويقول: قرأت هذه القصيدة، وتجاوبت معها.

بالنسبة للشاعر: هذه هي أعظم هدية.